مجلة العلوم الانسانية الدولية، ١٤٣١/٢٠١٠ هـ.ق، العدد ١٧ (٤) ١- ١٨

أدب المكاتبة في ردّ الإمام علي عليه السلام على كتاب معاوية

محمد خاقاني أصفهاني[١]، سيدة ريحانه ميرلوحي[٢]

تاريخ الوصول: ١٤٣٠/٧/١٢ تاريخ القبول: ١٤٣٠/٩/٢٥

يتضمن الكتاب الثامن والعشرون من رسائل «نهج البلاغة» على نقاط بلاغية هامة يكشف النقاب عنها في هذاالبحث ويقارن بكتاب معاوية تبييناً لبلاغة كتاب الإمام علي (ع) وكي يكون مثالاً يقتدي به ويحتذى حذوه في إنشاء الرسائل وخاصّةً الرسائل الجوابية وكذلك يبيّن هذا البحث تطابق بلاغة الكتابين المشتملة على صور المعاني والبيان والبديع والأغراض الأخلاقية والسياسية للكاتبين: بفرض معاوية كالمبدأ البادئ للمكاتبة والإمام على (ع) المجيب على الرسالة، وبالتالي يتبين أنّ الأخلاق التي هي أمرمعنوي تتولّي الجماليات الروحية والبلاغة كظاهرةٍ لسانية تتعهّد جماليات اللغة وبينهما علاقة وثيقة.

الكلمات الرئيسية: أدب الرسائل، البلاغة العربية، الجمال الفنّي، الأخلاق، الإمام علي عليه السلام.

١. أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية بجامعة أصفهان

٢. طالبة دكتوراه في قسم اللغة العربية بجامعة أصفهان

Archive of SID

www.SID.ir

المقدّمة

من المباحث الهامّة في علم اللغة، العلاقة الوثيقة وفي الحقيقة «الواحدة»بين اللغة والمعنى وأخلاق الإنسان من الجوانب المعنوية الروحية التي تتجلّى في تصرفاته الخارجية، خاصّة في كلامه والمعاملات الإجتماعية التي أساسها اللغة الشفاهية والكتابية؛ لذلك يعتبركلام الإنسان وسيلةً لمعرفة شخصيته الروحية، كما يقول الله تعالي في الذكر الحكيم خطاباً للنبي (ص): «ولتعرفنّهم في لحن القول»(محمد، ٣٠). ويقول الإمام علي(ع): «تَكلّموا تُعرفوا فإنّ المرءَ مخبؤٌ وراءَ لسانه» (نهج البلاغة، الحكمة٣٩٢)، أو: «ما أضمرَ أحدٌ شيئاً إلّا ظهرَ في فلتاتِ وجههِ وصفحاتِ لسانه» (ن. م، الحكمة٢٦) ويقول في موقف آخر: «رسولك ترجمانُ عقلك وكتابك أبلغُ مانطق عنك». على هذا الأساس فإن محور البحث في المقاله دراسة الجوانب الأخلاقية والبلاغية التي من مظاهر اللغة للكاتبين، لمعرفةكيفية هذا التأثير والتأثّر: التأثير من جانب روح الإنسان ونواياه الأخلاقية، وتأثّر لغته بذلك. قبل البدء نأتي بتعاريف الكتاب والكتابة وتاريخ موجزمن الكتاب و الكتابة في عصر صدر الإسلام.

الكتاب لغةً:

هو مصدر«كتَبه يكتُبُه كتباً وكتاباً»: خطّه.الكتاب: مايكتب فيه و- الدواة. - و التوراة والصحيفة.و الفرض والحكم والتقدير.(الفيروز آبادي، ١٤١٥ه ق.مادة كتب). والكتاب: الصحف المجموعة، والرسالة (ج)كتُب. و القرآن، والتوراة والإنجيل. (أنيس، إبراهيم وزملاؤه، ١٣٩٢ هـــ. ق، المادّة نفسها). والمقصود بالبحث هنا من بين المعاني المذكورة هو معنى« الرسالة».

الكتاب اصطلاحاً

الكتاب اصطلاحاً هو ماينتج عن صناعة الكتابة وهي كما يقول صاحب موادّ البيان عبارةٌ عن صناعة روحانية تظهر بآلة جسمانية ويعني بالروحانية الألفاظ والعبارات التي يتخيلها الكاتب في أوهامه ويصوّر من ضمّ بعضها إلى بعض صورة باطنة قائمة في نفسها وبالجثمانية الخطّ الذي يخطّه القلم وتقيد به تلك الصورة وتصير بعد-أن كانت صورة معقولة باطنة- صورة محسوسة ظاهرة، وهذا التحديد يشمل جميع مايسطّره القلم ممّا يتصوّره الذهن ويتخيله الوهم، فيدخل تحته مطلق الكتابة كما هو مستفاد من المعنى اللغوي إلّا أنّ العرف فيما تقدّم من الزمان قد خصّ لفظ الكتابة بصناعة الإنشاء حتّى كانت الكتابة إذا أطلقت لايراد بها غير كتابة الإنشاء والكاتب إذا أطلق لا يراد بها غير كاتبها (القلقشندي، هـــ ق١٤٠٧، ج١، ص٨٢بتصرف).

الفرق بين الكتاب والرسالة

١- الفرق بينهما لغوياً

الكتاب من حيث اللغة مصدرٌ للفعل الثلاثي المجرّد؛«كتب يكتُب » كما مرّ آنفاً، وأيضاً مصدرٌ لباب المفاعلة من المادّة نفسها قياساً؛يقال«كاتب يكاتب مكاتبةً وكتاباً». واسم آلة على غير القياس ، أي مايكتب به وهو الدواة. والمعنى المتبادر منه ليس وجه المصدر المجرد أو المزيد بل أحد المعاني المذكورة في بيان معناه اللغوي ومنها الرسالة.

وأمّا الرسالة لغةً فهي اسم مصدر من الإرسال والإرسال يأتي بمعنى التسليط، و الإطلاق، و الإهمال والتوجيه (الفيروزآبادي، المصدر نفسه، مادّة رسل).وجميع معاني مادّة «رسل» ترجع إلى معنى واحد وهو الإنبعاث والإمتداد. يقال: «ناقة رسلة: لاتنفك سياقاً، ولينة

Archive of SID
www.SID.ir

المفاصل»(ابن فارس، أحمد، ١٤٠٤هق، ج٢، مادّة رسل).

٢- الفرق بينهما في مصطلح الإنشاء

الكتاب عبارة عمّا يوجّه إلى الغير منظّماً في السطور مخطوطاً، والرسالة عبارة عن الكلام المرسل إلى الغيركتابةً أو لساناً ويرادفها: «المرسل، الرسيل، الجراية، الكتاب، المنشور، المرسوم، الملأك، الملأكة، البطاقة، النطاقة، الألوك والمألكة» (غالب، حنّا. ١٤١٧هـ ق ، ص٤٠٠).فعلى هذا تكون النسبة بينهما عموم وخصوص مطلق ؛إذ كلّ كتابٍ رسالة وليس كلّ رسالةٍ كتاباً.

الكتابة والكتاب في عصر صدر الإسلام

وقد رفع الإسلام من شأن الكتابة حيث جعل أداتها وهي القلم ، أداةً للتعليم وقال جلّ شأنه «إقرأ وربُّك الأكرم الذي علّم بالقلم» الفلق/٣-٤. وكان النبي (ص) يدرك أنّ للكتابة أثراً كبيراً في نشر الدعوة الإسلامية وظهر اهتمامه بها منذ أوائل عهده بالإسلام وعمل على تعليم الكتابة لأتباعه وقال(ص): من حقِّ الولدِ على الوالدِ أن يعلِّمَه الكتابة...(مسندالفردوس للديلمي، نقلاً عن نايف معروف، ١٤١٠هق، ص٦٦).

ونظراً لحاجة الرسول إلى الكتابة، فقد اتّخذ كتّاباً له بعضهم يكتبون الوحي منهم الإمام علي بن أبي طالب(ع) وعثمان بن عفّان وآخرون يكتبون بين يديه في أمور الناس عامّة وللمسلمين خاصّة، منهم خالد بن سعيد ابن العاص ومعاوية بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة والعلاء بن الحضرمي وأُبَيّ ابن كعب وغيرهم. وكانت مهمّة هؤلاء الكتّاب أن يكتبوا مايمليه عليهم الرسول(ص)بأمانة متناهية، لايزيدون حرفاً ولاينقصون وكان أول ما أمر بكتابته كتابه بين المهاجرين والأنصار الذي جعل من الفريقين نواةً للأمّة الإسلامية ومن المدينة عاصمةً لدولة الإسلام (نايف معروف، ١٤١٠هق، ص٦٥-٦٨، بتصرف واختصار).

وهكذا ازدهرت صناعة الكتابة في عصر صدر الإسلام وكلّما زادت رقعة الإسلام اتساعاً زاد فن الكتابة رواجاً وازدهاراً لأنها صارت أداةً لبيان الأغراض السياسية والحربية والدينية وما إلى ذلك من الأغراض.

وتقسّم الكتب والرسائل بوجهٍ عام على قسمين: القسم الأوّل: الرسائل التي يرتجل ويبتدأ بها، والقسم الثاني: الرسائل والكتب التي صدرت جواباً عن رسالة أو كتاب، ويقول القلقشندي (المرجع نفسه، ج٦، ص٣١٠): أن كتب الأجوبة أعلى رتبة وأبلغ في صناعة الكتابة وفيها تظهرمهارة الكاتب وحذقه وتذكر له دلائل وهي:

«١-أنّ المبتدئ محكم في كتابه يبتدئ بألفاظه كيف يشاءويقطعهاحيث يشاء.. ٢-أنّ المجيب إذ كان جوابه محتملاً للإشباع والتوسع، مضطر إلى اقتصاص ألفاظ المبتدئ واتّباعها للإجابة عنها وذلك يؤدّي إلى تصفح كلام المبتدئ والمجيب ويصل ما بين الكلامين، لأنّ الكلامين يتقابلان فلاتخفي رتبتهما والفاضل منهما من الرذل، وهذا مرفوعٌ عن المبتدئ.

٣- أنّ تأليف الكلام وانتظامه واتساقه والتئامه يقدر منها المبتدئ على ما لا يقدر عليه المجيب لأنّ الجواب يفصّل أجزاء الكلام ويبدّد نظامه ويقسّمه أقساماً بمكان الحاجة إلى استئناف القول من الفصل بعد الفصل بقول أمّا كذا وأمّا كذا فظهور الصورة المستحسنة في المتّصل أكثر من ظهورها في المنفصل».

وبما أنّ كتاب الإمام علي(ع)-كما أشير في الملخّص- ردٌّعلى كتاب معاوية نأتي في هذه المقالة بكتاب معاوية

Archive of SID
www.SID.ir

أوّلاً لنعرض مافيه من الوجوه البلاغية وبعض النقاط الأخلاقية السلبية:

الفقرة الأولى: في تحميد الله سبحانه وتعالي

أمّا بعد، فإنّ الله تعالي جدّه اصطفى محمّداً عليه السلام لرسالته، واختصه بوحيه وتأدية شريعته، فأنقذ به من العماية، وهدى به من الغواية، ثمّ قبضه إليه رشيداً حميداً قد بلّغ الشرع، ومحق الشرك، وأخمد نار الإفك، فأحسن الله جزاءه وضاعف عليه نعمه وآلاءه. ثمّ إنّ الله سبحانه اختص محمداً عليه السلام بأصحاب أيدوه وآزروه ونصروه وكانوا كما قال الله سبحانه لهم: «أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم» فكان أفضلهم مرتبة وأعلاهم عند الله والمسلمين مترلةً، الخليفة الأوّل الذي جمع الكلمة، ولمّ الدعوة وقاتل أهل الرّدة، ثمّ الخليفة الثاني الذي فتح الفتوح ومصّر الأمصار وأذلّ رقاب المشركين، ثم الخليفة الثالث المظلوم الذي نشر الملّة وطبّق الآفاق بالكلمة الحنيفية.

العيوب الأخلاقية في هذه الفقرة

١- كتمان الحقيقة: المفروض أنّه كان يعلم جيداً أنّ الإمام علي(ع) كان أوّل مؤمن بالله وبالإسلام من الرجال وأجاب دعوة النبي(ص) وقام بواجبه نحو الإسلام في عصرالنبي(ص) وبعده إلى أن استشهد ولا دليل لإخباره بأنّ الأصحاب أيدوا النبي(ص)وهو في قمّة الأصحاب بل وفي قمّة أهل بيت النبي (ص)أيضاً، في حين أنّه كتم الحقيقة و لم يصرّح بشأن الإمام الخاص بين الأصحاب ثمّ إنّه رتّب الأصحاب في درجاتٍ من الفضل وأعطى الدرجة الأولى للخليفة الأول ثمّ للخليفة الثاني ثمّ للثالث بدون أن يبرهن عليه أو يأتي بدليل عقلي أو نقلي، ففي هذه الفقرة علاوة على كتمان الحقيقة دعوي بلا بينة .

الوجوه البلاغية في الفقرة الأولى:

١- الاستعارة التصريحية في«أنقذ به من العماية» حيث استعار العماية للضلالة.

٢-الإضافة التشبيهية في «نار الإفك».

٣-الاقتباس في«أيدوه وآزروه ونصروه».

٤-السجع (٦)ستّ مرات في مواضع مختلفة: «رسالته، وحيه، شريعته» و«العماية، الغواية» و«الشرك، الإفك».

الفقرة الثانية: الهجمة الكلامية على الإمام علي(ع)

فلمّا استوثق الإسلام وضرب بجرانه عدوت عليه فبغيتَه الغوائل ونصبت له المكايد وضربتَ له بطن الأمر وظهره، ودسست عليه وأغريتَ به وقعدتَ حيث استنصرك عن نصره، وسألك أن تدركه قبل أن يمزّق فما أدركته، وما يوم المسلمين لك بواحد!لقدحسدتَ أبابكر والتويتَ عليه ورمتَ إفساد أمره وقعدتَ في بيتك واستغويتَ عصابةً من الناس حتّى تأخّروا عن بيعته ثمّ كرهتَ خلافة عمر وحسدته واستطلتَ مدّته وسررتَ بقتله وأظهرتَ الشماتة بمصابه، حتّى إنّك حاولتَ قتل ولده لأنّه قتل قاتل أبيه ثمّ لم تكن أشدّ منك حسداً لابن عمّك عثمان، نشرتَ مقابحه وطويتَ محاسنه وطعنتَ في فقهه ثمّ في دينه ثمّ في سيرته، ثمّ في عقله وأغريتَ به السفهاء من أصحابك وشيعتك حتّى قتلوه بمحضرٍ منك، لا تدفع عنه بلسان ولا يد، وما من هؤلاء إلّا بغيتَ عليه، وتلكأتَ في بيعته، حتّى حُملتَ إليه قهراً تساق بخزائم الإقتسار كما يساق الفحلُ المخشوش ، ثمّ نهضتَ الآن تطلب الخلافة ، وقتلة عثمان خلصاؤك وسجراؤك والمحدقون بك، وتلك من أماني النفوس وضلالات الهواء.

العيوب الأخلاقية في هذه الفقرة

الهجمة الكلامية ظاهرة بارزة في كلّ هذه الفقرة من كتابه وتنطوي على الأقسام التالية:

Archive of SID
www.SID.ir

١-العشوائية في الكلام: وهذه يعني أنّه لم يتروّ قبل كلامه إذ نشاهد أنّه يوجّه افتراءات متتالية نحو الإمام علي(ع).

٢-تشويه الحقيقة: ويظهر هذا العيب فيما نسبه إلى الإمام علي(ع) من إغرائه شيعته وأصحابه لقتل عثمان وتاريخ الإسلام شاهدٌ على أنّ معاوية شوّه الحقيقة بل لبس الحق بالباطل وكتمه.

٣-الإفتراء وتوجيه التهمة: قد افترى على الإمام (ع) بأنّه عدا على الإسلام وخذله-عوذاً بالله- وكيف هو خاذل الإسلام و لم يكفر به طرفة عين؟ وهوالفاتح يوم بدر وأُحد وخيبر وأحزاب وغيرها من الأيام الحاسمة والمصيرية وهو القاعد في بيته يجمع القرآن و لم يتدخّل في السقيفة حفظاً للإسلام وتجنّباً من شقّ عصا المسلمين وإشعال النار بينهم؟ كما افتري على الإمام بأنّه حسد الخلفاء وأظهر الشماتة بمصابه وحاول قتل ولده لأنّه قتل قاتل أبيه، والإمام علي(ع) لم يحسد وكان بمعزلٍ عن ذلك، كيف وهو ترك الدنيا وقال لها «غرّي غيري» وإنّما الحسد نتيجة التزاحم على الأرباح الماديّة والدنيوية.

الوجوه البلاغية في الفقرة الثانية:

١- تكرار خطاب الإمام علي (ع) اثنان واربعون(٤٢) مرّة متعاقبة و هوتكرارٌ مملّ دون تفنن في أضراب الكلام سبعة وعشرون(٢٧) منه استعمال الخطاب بفعل الماضي وضمير(تَ) من مثل: عدوتَ عليه، بغيته، ضربت، دسستَ، أغريتَ، قعدتَ... وهذا التكراريتناسب و الهجمة الكلامية الموجّهة نحو الإمام(ع)-كما أشرنا في العيوب الأخلاقية- وكأنّه يريد بهذا التكرار المتتالي تثبيت أقواله.

٢-الإستعارة المكنية في «سألك » لأنّ السؤال نسب إلى الإسلام وهو من لوازم المستعار منه ، الإنسان.

٣-الطباق في« بطن الأمر وظهره».

٤- المقابلة بين«نشرتَ مقابحه وطويتَ محاسنه».

٥- تكرار «ثمّ» خمس مرّات في الفقرة: ثمّ كرهتَ خلافة عمر وحسدتَه..ثمّ لم تكن أشدّ منك حسداً... ثمّ في دينه، ثمّ في سيرته، ثمّ في عقله، ثمّ نهضتَ الآن تطلب الخلافة.

٦-تكرار أسلوب واحد أربع مرات وهوكما يلي:

(١) استغويت عصابةً من الناس حتّى تأخّروا عن بيعته

(٢)أظهرتَ الشماتة...حتي إنّك...

(٣) أغريتَ به السفهاء...حتّى قتلوه

(٤) تلكأتَ في بيعته حتّي... .

٧- تشبيه التمثيل في: «تساق بخزائم الإقتسار كما يساق الفحل المخشوش».

٨- مراعاة النظير بين لسان ويد.

٩-السجع في مواضع مختلفة.

١٠- تكرار بعض الأفعال مرّتين في المواضع المختلفة: بغيته الغوائل وبغيَته ، أغريت به وأغريتَ السفهاء، قعدت حيث استنصرك وقعدتَ في بيتك، حسدتَ أبا بكروحسدتَه.

١١- مراعاة مقتضى الحال: الحال عند معاوية هو إنكار فضل الإمام(ع) وتوجيه الإفتراء نحوه لأجل إثارة الغضب، ومقتضى الحال تكرار الخطاب والصراحة في الألفاظ.

الفقرة الثالثة: الدعوة إلى الشورى والإعلان عن عدم طاعته للإمام علي(ع) بالحرب والقتال

فدَع اللجاج والعبث جانباً، وادفع إلينا قتلة عثمان وأعدّ الأمرشورى بين المسلمين ليتفقوا على من هو لله رضاً.فلا بيعة لك في أعناقنا، ولاطاعة لك علينا، ولا عتبى لك عندنا وليس لك ولأصحابك عندي إلّا السيف، والّذي لا

Archive of SID

www.SID.ir

إله إلّا هو لأطلبنّ قتلة عثمان أين كانوا، وحيث كانوا، حتّى اقتلهم أوتلتحق روحي بالله.

العيوب الأخلاقية في هذه الفقرة:

١-الفحش في الكلام: في قوله«دع اللجاج والعبث جانباً» والإمام علي(ع) منزّه عنها بشهادة التاريخ والمسلمين كافّةً.

٢-سوء الأدب في الخطاب: حيث طلب منه ما ليس من مسؤولياته، فإنّ قتلة عثمان ليسوا تحت رعايته وأمر المسلمين لم يكن بيده بل بيد المسلمين جمهورهم وهم الذين أعادوا على الإمام علي(ع) مااستحقّ من الإمامة والولاية وخلافة المسلمين.

الوجوه البلاغية في الفقرة الثالثة:

١- الإطناب من نوع تكرار الأسلوب والتأكيد في: لا بيعة لك في أعناقنا ولا طاعة لك علينا ولا عتبى لك عندنا.

٢- أسلوب الحصر لأجل التأكيد في قوله«ليس لك ولأصحابك عندي إلّا السيف».

٣- الكناية في كلمة السيف عن القتال.

٤- الكناية في: «أو تلتحق روحي بالله»، وهوكناية عن موته في الحرب.

٥- التكرارفي« أين كانوا وحيث كانوا».

٦- السجع في«أعناقنا علينا وعندنا».

الفقرة الرابعة: في الإفتراء على الإمام علي(ع) بأنّه يمنّ بسابقته في الإسلام والجهاد

فأمّا مالا تزال تمنّ به من سابقتك وجهادك فإنّي وجدتُ الله سبحانه يقول: «يمنّون عليك أن أسلموا قل لاتمنّوا على إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين» الحجرات/١٧. ولو نظرتَ في حال نفسك لوجدتها أشدّ الأنفس امتناناً على الله بعملها، وإذا كان الإمتنان على السائل يبطل أجرالصدقة فالإمتنان على الله يبطل أجرالجهاد، ويجعله «كصفوان عليه ترابٌ فأصابه وابلٌ فتركه صلداً لا يقدرون على شيء ممّا كسبوا و الله لايهدي القوم الكافرين ».

العيوب الأخلاقية في هذه الفقرة:

١- تشويه الحقيقة: كما مرّ في الفقرة الثانية، فادّعائه بأنّ الإمام(ع) يمنّ بسابقته في الإسلام خلاف الحقيقة وماسجّل لنا التاريخ من سيرته وسلوكه.

٢-الإفتراء: فقد افترى عليه بماهو برىء منه ومنزّه عنه وهوامتنانه على الله سبحانه بجهاده، وكيف ذلك وهو يضحّي بنفسه وماله في سبيل الله ويعرض نفسه للأخطار حتّى أنزل الله سبحانه الآية الكريمة: «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوفٌ بالعباد» البقرة/٢٠٧. (الطباطبائي، ١٣٩٤ هـ. ق، ج٢، ص١٠١).

الوجوه البلاغية في الفقرة الرابعة:

١- المذهب الكلامي في«إذا كان الإمتنان ...فالامتنان على الله يبطل أجر الجهاد».

٢-الاستشهاد بالقرآن الكريم بآية: «يمنّون عليك أن أسلموا...».

٣- الإقتباس: «ويجعله كصفوان عليه تراب....».

٤-حسن الإنتهاء: بدليل انتهاء كتابه بآية قرآنية شريفة.

وبعد هذا البحث في كتاب معاوية، حان الأوان لننقل ردّ الإمام علي(ع)عليه وإنّه (ع) كيف واجهه، وردّه هذا يشتمل على فقرٍ كالآتي ونذكرمافيها من الوجوه الأخلاقية والبلاغية .

Archive of SID

www.SID.ir

دراسة حول الوجوه الأخلاقية والبلاغية في كتاب الإمام علي(ع)

الفقرة الأولى: في الإجابة عن إخباره بما هو أعلم منه من نصر النبي(ص) أصحابه

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ اصْطِفَاءَ اللَّهِ مُحَمَّداً- صلى الله عليه وآله- لِدِينِهِ وَ تَأْيِيدَهُ إِيَّاهُ لِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ فَلَقَدْ خَبَأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَنَا وَ نِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ وَ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى النِّضَالِ.

الوجوه الأخلاقية في الفقرة الأولى:

إنّ الإمام ينبّه معاوية على خطئه في إخباره بما هو أعلم منه لذلك يبدأ كتابه في الفقرة الأولى بابتداء حكمي ويتمّها بالحكمة:

الابتداء الحكمي: « لقد خبّأ لنا الدهر منك عجباً إذ طفقتَ تخبرنا ببلاء الله تعالي عندنا».

الحكمة: تشتمل عل مثلين شهيرين شبّه بهما معاوية وقوله في كتابه: «فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هجرأو داعي مسدّده إلى النضال».

الوجوه البلاغية في الفقرة الأولى:

١- الاقتصاص[1]: إذ يبدأ كلامه باقتصاص موجز من أوّل كتاب معاوية وهو: «تذكر فيه اصطفاء الله محمّداً وتأييده إيّاه بمن أيّده من أصحابه».

٢-حسن الابتداء[2] في قوله: «ولقد خبّأ لنا الدهر منك عجباً».لأنّ هذا الكلام في مفتتح الكتاب يؤثّر في نفس القارئ التأثير الذي للكتاب كلّه.

٣-الاستعارة المكنية في: «لقد خبّأ...» حيث شبّه الدهر بإنسان ونسب إليه مايخصّ الإنسان من فعل الإخفاء والإستتار.

٤- الكناية عن النسبة في الكلام نفسه: لأن قوله خبّأ لنا الدهر...ينسب إلى معاوية إخفاء باطن أمره وسريرته.

٥-الإبداع: إذ أنّ الجملة الواردة مشتملة على ثلاثة فنون من فنون البيان والبديع.

٦- تشبيه الجمع المضمّن التمثيل (خاقاني، ١٣٧٦ هـ. ش، ص ١٥١) في قوله: «فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هجر أو داعي مسدّده إلى النضال»فقد شبّه عليه السلام معاوية بناقل التمر أو داعي مسدّده إلى النضال والمشبّه به من نوع الإمثال ومن جهة وجه الشبه، تشبيه التمثيل.

٧- السجع في قوله: «إذ طفقت....عندناونعمته علينا في نبينا».

الفقرة الثانية: في الرد على مزاعم معاوية في تفضيل الصحابة وترتيب درجاتهم

وَ زَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الإِسلام فُلَانٌ وَ فُلَانٌ فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ وَ إِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ وَ مَا أَنْتَ وَ الْفَاضِلَ وَ الْمَفْضُولَ وَ السَّائِسَ وَ الْمَسُوسَ وَ مَا لِلطُّلَقَاءِ وَ أَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ وَ التَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الأولينَ وَ تَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ وَ تَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا وَ طَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا أَ لَا تَرْبَعُ أَيُّهَا الإِنسان عَلَى ظَلْعِكَ وَ تَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ وَ تَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ الْقَدَرُ فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ وَ لَا لَكَ ظَفَرُ الظَّافِرِ.

الوجوه الأخلاقية في الفقرة الثانية:

إنّ الإمام على (ع) في هذا القسم يريد أن ينبّه معاوية على الإبتعاد عن أمورلا تعنيه أبداً وهو ترتيب درجات أصحاب النبي(ص) فقد راعى في ردّه هذه النقاط الأخلاقية:

١-الإجابة بالمنطق السليم: في قوله«إن تمّ اعتزلك كله وإن نقص لم يلحقك ثلمه» و«ماأنت والفاضل

www.SID.ir

والمفضول..» ويجيء شرحه في المذهب الكلامي من الوجوه البلاغية.

٢- عتابه بالإستفهام الإنكاري: ماأنت والفاضل والمفضول.....

٣-دعوى بالبينة: الإشارة التاريخية الموجزة إلى أحداث صدر الإسلام لإثبات بطلان ما ادّعاه معاوية في قوله: ومالطلقاء وابناء الطلقاء[٣] ... .

٤- حسن الأدب: من مواضع حسن الأدب في هذه الفقرة أنّ الإمام(ع) يخاطب الإنسان بدل خطاب معاوية مباشراً حين يقول: «ألا تربع أيّها الإنسان على ظلعك وتعرف قصور ذرعك».

٥-الحكمة: وهوالإتيان بالمثل الشهير لبيان تدخل معاوية في أمور لا تعنيه: «لقد حنّ قدحٌ ليس منها» .

الوجوه البلاغية في الفقرة الثانية:

١- الإقتصاص: في قوله«وزعمت أنّ افضل الناس في الإسلام...».

٢-الكناية في «فلان وفلان» حيث كنّي عمن صرّح معاوية بأسمائهم.

٣- المذهب الكلامي في قوله« إن تمّ اعتزلك كلّه وإن نقص لم يلحقك ثلمه»، قد بين الإمام علي(ع) بأنّ حكم معاوية بالتفضيل عبثٌ لأنّه إذا كان حقاً فلايمتّ إليه بصلة وإن كان باطلاً لايلحقه نقصه وبطلانه فالإنسان العاقل لا يتدخّل فيما لايعنيه.

٤- المذهب الكلامي في« ما أنت والفاضل والمفضول و...» فقد بيّن الإمام بأنّ المعرِّف كقضية مسلّمة القبول يجب أن يكون أجلى وأنبل من المعرَّف وبما أنّه ليس بهذه المنزلة لأنّه من أبناء الطلقاء ومن عصابتهم -كما مرّ- فلا يمكنه هذا الحكم ، وأكد ذلك بمثل يدور في هذا المضمار وهو: « لقد حنّ قدح ليس منها».

٥- الكناية في «قصور ذرعك».

٦-الإستفهام الإنكاري في ثلاثة مواضع : «ما أنت والفاضل....» و«ماللطلقاء وأبناء الطلقاء....»و« ألا تربع أيها الإنسان على ظلعك وتعرف...».

٧-الإستعارة التمثيلية المضمّن المثل في قوله: «هيهات لقد حنّ قدحٌ ليس منها[٤]».

٨- فنّ العنوان في قوله: « ومالطلقاء وأبناء الطلقاء» بدليل الاشارة التاريخية المذكورة سابقاً.

٩-المقابلة في قوله: « إن تمّ ....وإن نقص ...»، وقوله «فما عليك غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظافر».

١٠- تضمين المثل في قوله: « طفق يحكم فيها من عليه الحكم لها».

١١-الإبداع في: ما للطلقاء....بدليل المحسنات البلاغية المذكورة في الجملة.

١٢-السجع في مختلف المواضع (خمس مرّات): كلّه وثلمه، المفضول و المسوس، درجاتهم وطبقاتهم، فيها ولها، ظلعك وذرعك .

الفقرة الثالثة: في دفع الإمام عليه السلم هجمته عليه بأنّه(عوذاً بالله) عدا على الإسلام!

وَ إِنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التِّيهِ رَوَّاغٌ عَنِ الْقَصْدِ أَ لَا تَرَى- غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ وَ لَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُحَدِّثُ- أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ لِكُلٍّ فَضْلٌ حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ وَ خَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه واله- بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ أَ وَ لَا تَرَى أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لِكُلٍّ فَضْلٌ حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا كَمَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ قِيلَ الطَّيَّارُ فِي

Archive of SID

www.SID.ir

الْجَنَّة وَ ذُو الْجَنَاحَيْنِ وَ لَوْ لَا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَة الْمَرْءِ نَفْسَهُ لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ وَ لَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِه الرَّمِيَّةُ فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا وَ النَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِزِّنَا وَ لَا عَادِيُّ طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا فَنَكَحْنَا وَ أَنْكَحْنَا فِعْلَ الْأَكْفَاءِ وَ لَسْتُمْ هُنَاكَ وَ أَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَ مِنَّا النَّبِيُّ وَ مِنْكُمُ الْمُكَذِّبُ وَ مِنَّا أَسَدُ اللَّه وَ مِنْكُمْ أَسَدُ الْأَحْلَافِ وَ مِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّة وَ مِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ وَ مِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَ مِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَ عَلَيْكُمْ فَإِسْلَامُنَا مَا قَدْ سُمِعَ وَ جَاهِلِيَّتُنَا لَا تُدْفَعُ وَ كِتَابُ اللَّه يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا وَ هُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّه وَ قَوْلُهُ تَعَالَى إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هَذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَة وَ تَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَة وَ لَمَّا احْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَة بِرَسُولِ اللَّه- صلى الله عليه واله- فَلَجُوا عَلَيْهِمْ فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِه فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ وَ إِنْ يَكُنْ بِغَيْرِه فَالْأَنْصَارُ عَلَى دعواهم.

الوجوه الأخلاقية في الفقرة الثالثة:

هذه الفقرة جوابٌ عمّا أورد معاوية على الإمام علي(ع) من الفرية والبهتان العظيم وادّعائه عشوائياً أنّه عدا على الإسلام ونصب له الغوائل: ولذلك نراه(ع) يردّ هجمته ويصرّح بأنّه ذاهبٌ في الضلال ومائلٌ منحرفٌ عن سبيل الرشد ويذكر أمجاد أقاربه الأولين من مثل حمزة سيدّ الشهداء(ع) وجعفر الطيّار(ع) وممّا يذكر بما قام به أعمام وأجداد معاوية من المقاتلة والحرب ضد الإسلام .وكان من الواجب جواباً عن معاوية لردّ هذا الإفتراء أن يفتخر ويباهي بهذه المفاخر؛ والسّمة الغالبة على هذه الفقرة يعني المفاخرة لا كمثل المفاخرات الّتي تنبعث عن التكبّر والإعجاب بالنفس بل مفاخرةٌ منبعثة عن دفاع الإمام(ع) عن شخصيته وردّ هجمة معاوية عنه.ويأتي علي(ع) بدلائل موثّقة على تلك المفاخرة الحقّة وهي:

١-بيان استشهاد الحمزة(ع) عمّ النبي(ص)وجعفر ابن أبي طالب(ع) ودرجتهما الرفيعة في الإسلام وخدمتهما في نصرالنبي(ص) الّتي لم يذكرها معاوية عند ذكر أصحاب ومؤيدي النبي(ص).

٢-المقارنة الصادقة بين قومه وقوم معاوية وماضيهما في الجاهلية والإسلام: « منّا النبي(ص) ومنكم المكذّب، ومنّا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف.....».

٣- الإستشهاد بآيات القرآن الكريم في بيان الأولويّة: «وأولوالأرحام بعضهم أولى ببعضٍ....»و«إنّ أولى الناس بإبراهيم للّذين اتّبعوه وهذا النبي والذين آمنوا.....».

٤- حسن الأدب: في قوله«ذكر ذاكرٌ» ولم يقل(ع)لذكرتُ حذراً من الإعجاب بالنفس.

٥-التبليغ : في قوله« فَضَائِلَ جَمَّةً تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ وَ لَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ»، وذلك كمقدّمة لبيان فضائله.

٦-الحكمة: وهي الإتيان بهذا المثل: « فدع عنك من مالت به الرمية» لتنبيه معاوية على الإبتعاد عن حيل عمرو العاص.(راجع للتفصيل: حسن زاده آملي، م.ن، ص١١٤).

الوجوه البلاغية في الفقرة الثالثة:

١- مراعاة مقتضى الحال: والحال هي إنكار معاوية فضل الإمام على (ع) في الإسلام وسابقته وسابقة أقاربه، ومقتضي الحال في إجابة الإمام هو الاطناب السليم والبليغ في هذا القسم.

Archive of SID

www.SID.ir

٢- المبالغة في كلمتي: «ذهّاب»في التيه و«روّاغٌ »عن القصد، لبيان شدّة ضلالة معاوية وميله عن الحق في التهم الموجّه نحو الإمام(ع).

٣-الإستفهام الإنكاري في قوله: «ألا تري.. أَنَّ قَوْماً استُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ» يعني أنّك ترى ولكن تتجاهل وتستر الحقيقة، وفي قوله: «أولا ترى أنّ قوماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ..».

٤- الإحتراس في قوله: «غير مخبرٍ لك» ليقول لمخاطبه معاوية إنّك لست بأهلٍ أن يخاطبك مثلي(حسن زاده، م.ن، ج١٩، ص١١٣).

٥-الإحتراس أيضاً في قوله: «ولكن بنعمة الله أحدّث» وهو لأجل الإجتناب من توهّم المخاطب ، مفاخرة الإمام بنفسه عن غير الحق.

٦-تنكير المسند إليه في قوله: «ذاكرٌ» لمراعاة حسن الأدب، مرّ ذكرها في الوجوه الأخلاقية.

٧-التبليغ[٦] في قوله: «فضائل جمّة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجّها آذان السامعين».

٨-الإستعارة التصريحية في«ولاتمجّها آذان السامعين»: شبّه الآذان بإنسان يلقي لعاب فمه إلى الخارج، ولاتمجّها يشير إلى عدم ملال السامعين عن استماع فضائل الإمام(ع).

٩-مراعاة النظير بين «قلوب وآذان».

١٠-الجناس بين «جمّة وتمجّ».

١١-تضمين المثل في « فدع عنك من مالت به الرمية».

١٢-الإبهام في لفظ«من» في «فدع.....»، فإنّ المراد بمن فيه إبهام واحتمل شارحوا نهج البلاغة وجوهاً حولها.(حسن زاده، م.ن، ص١١٤).

١٣-التمثيل في«إنّا صَنَائِعُ رَبِّنَا وَ النَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا»، كما يقول الزمخشري: اصطنعتك لنفسي تمثيلٌ لما خوّله من منزلة التقريب والتكريم.(نقلاً عن حسن زاده، م.ن، ص١١٥).

١٤- التفنن في « لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِزِّنَا وَ لَا عَادِيُّ طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا»استفاد الإمام من هذا الأسلوب بدل أن يقول«نحن أعزّ منك ومن قومك».

١٥- المقابلة-ستّ مرّات- بين مايقارن الإمام من قومه وقوم معاوية: « مِنَّا النَّبِيُّ وَ مِنْكُمُ الْمُكَذِّبُ وَ...

١٦- الإيقاع وجزالة الألفاظ في الكلام نفسه: استفاد الإمام (ع) من الألفاظ التي لها التأثير في ذهن المخاطب أو قارئ الرسالة، ولم يصرّح باسمٍ من أسمائهم وكان من الممكن أن يقول: منّا حمزة ومنكم أبو سفيان....ولكن جاء بصفاتهم التي اشتهروا به لتذكير مقامهم وللإيقاع في السمع.

١٧-التذييل في قوله«في كثيرمما لنا وعليكم» لأنّ المعنى قبله كامل وإنّما زيد هذا الكلام لتثبيته وتوكيده.

١٨-الإيجاز بالحذف في قوله «إسلامنا قد سمع وجاهليتنا لاتدفع» يعني تقدّمنا في الإسلام وشرفنا في الجاهلية.

١٩-الإستشهاد بآيتين من القرآن الكريم: «أولو الأرحام بعضهم....» و«إنّ أولى الناس ..».

٢٠- الإبداع (مرّتين) في: « تعرفها قلوب المؤمنين ولاتمجها آذان السامعين» وفي «منّا النبي ومنكم المكذّب.....».

٢١-السجع في المواضع المختلفة(أربع مرّات): «المؤمنين... السامعين »، «فإنّا صنائع ربّنا....لنا»، «عزّنا و طولنا و بأنفسنا، أنكحنا ونكحنا فعل الأكفاء»، «دونكم ودعواكم».

Archive of SID
www.SID.ir

الفقرة الرابعة: في الردّ على اتّهامه بالحسد على الخلفاء الثلاثة

وَ زَعَمْتَ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ وَ عَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَيْسَ الْجِنَايَةُ عَلَيْكَ فَيَكُونَ الْعُذْرُ إِلَيْكَ وَ تِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا وَ قُلْتَ إِنِّي كُنْتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّى أُبَايِعَ وَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ وَ أَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ وَ مَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً مَا لَمْ يَكُنْ شَاكّاً فِي دِينِهِ وَ لَا مُرْتَاباً بِيَقِينِهِ وَ هَذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا وَ لَكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا.

الوجوه الأخلاقية في الفقرة الرابعة:

يردّ الإمام الإتّهام بحسده على الخلفاء الثلاثة ، بالحلم والحكمة والتعريض إرشاداً وبرهاناً:

١- الحلم: من سمات الحلم في إجابة الإمام(ع) أنّه لايستفزّ غضباً من تلك الهجمة الكلامية في الفقرة الثانية من كتاب معاوية بل يجيب بالصفح الجميل في قوله: «فإن يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك ..» وقوله جواباً عن تشبيه معاوية: « ولعمر الله لقد أردت أن تذمّ فمدحت ..»

٢-الحكمة: وهوتضمين المثل في كلامه «وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارها».

٣- التعريض في قوله: «وما على المسلم من غضاضة مالم يكن شاكاً في دينه ولا مرتاباً بيقينه» ولا يشير مباشراً إلى نفسه ولايصرّح باسمه لأجل أن يكون الكلام كليّاً يرشد الآخرين أيضاً.

٤- البرهان في كلامه (ع) للرّد على التهم يتجلّى في كلامه(ع): «فإن يكن ذلك كذلك..»و«لقد أردت أن تذمّ فمدحتَ..» وسيجئ بيانه في المذهب الكلامي من الوجوه البلاغية.

الوجوه البلاغية في الفقرة الرابعة:

١- الإقتصاص في « وزعمتَ أنّي لكلّ الخلفاء حسدت...» و« قلتَ إنّي كنت أقاد كما يقاد الفحل المخشوش».

٢-المقابلة في« فليس الجناية عليك فيكون العذر اليك»و«لعمر الله لقدأردت أن تذمّ ..».

٣-المذهب الكلامي في«فإن يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك....» لأنّ الإمام (ع)يبطل بهذا الكلام، وفق أحكام القضاء، أن يكون لمعاوية حقّ في تدخّله بشأن غيره، دون أن يكون وصياً أو وليّاً له.

٤- تضمين المثل في«تلك شكاة ظاهرعنك عارها».

٥-المذهب الكلامي في: « لقد أردت أن تذمّ فمدحت وأن تفضح فافتضحتَ»، لأنّ الإمام (ع) أثبت بهذا الكلام أنّ الإجماع لم يحصل للخلافة بعد النبي(ص) لأنّ معاوية أقرّ بأنّ الإمام أُجبر على ذلك.

٦- التذييل في قوله: «هذه حجّتي إلى غيرك قصدها ولكنّي أطلقت لك منها بقدر ماسنح من ذكرها»، لتأكيد الكلام السابق ولبيان أنّ هذا الكلام لم يكن ردّاً على كتاب معاوية فحسب بل حجّةً إلى الآخرين أيضاً.

٧-السجع في المواضع المختلفة (ثلاث مرّات): «كذلك، عليك، اليك» و«مدحت، فافتضحت» و«قصدها، منها ذكرها».

٨- الإبداع في قوله: «فليس الجناية عليك..» وفي قوله«لقد أردت أن تذمّ فمدحت....» بدليل اجتماع ثلاثة فنون بديعية فيه(المقابلة، المذهب الكلامي، السجع).

Archive of SID

www.SID.ir

الفقرة الخامسة: تختصّ بالإجابة عن أمره وأمر عثمان

ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَ أَمْرِ عُثْمَانَ فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هَذِه لِرَحِمكَ مِنْهُ فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ وَ أَهْدَى إِلَى مَقَاتِله أَ مَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَ اسْتَكَفَّهُ أَمْ مَنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ وَ بَثَّ الْمَنُونَ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَى قَدَرُهُ عَلَيْهِ كَلَّا وَ اللَّهِ لَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَ الْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَ لَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا وَ مَا كُنْتُ لِأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثاً فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَ هِدَايَتِي لَهُ فَرُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ وَ قَدْ يَسْتَفِيدُ الظِّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ (وَ مَا أَرَدْتُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَ ما تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ).

الوجوه الأخلاقية في الفقرة الخامسة

في هذه الفقرة أيضاً يقابل الإمام بين نفسه ومعاوية ليبين خطأه للآخرين ولمعاوية نفسه، وبما أنّه استغلّ قتل عثمان ضد الإمام علي(ع) وكان الإمام بريئاً من تلك التهم يواجهه(ع) بهذه الوجوه الأخلاقية :

١- تبيين الحقيقة في قوله: «فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هَذِه لِرَحِمكَ مِنْهُ فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ وَ أَهْدَى..»

٢-المقارنةالصادقة بين معاملتهما تجاه عثمان في سياق الإستفهام التقريري في الكلام نفسه .

٣-الإقتباس من القرآن الكريم لإثبات تأخّر معاوية عن نصرة عثمان«لقد علم الله..».

٤- الحكمة: وهي تضمين المثلين في ردّه عليه: «فربّ ملوم لا ذنب له» و «قد يستفيد الظنّة المتنصّح» بهذين المثلين بين الإمام(ع) مثله في قضية عثمان بأنّه كان بعيداً عن تلك التهم ولكن بسبب مداخلته السليمة في قضايا عثمان لإنقاذه بمثابة المتنصح الّذي يقع بعض الأحيان في معرض سوء الظن .ولاصحّة لملامة معاوية الإمام في أمر عثمان لأنّه كملومٍ لاذنب له.

٥-البرهان(دعوي بالبينة) في قوله: « فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هَذِه لِرَحِمكَ مِنْهُ فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ وَ أَهْدَى إِلَى مَقَاتِله أَ مَنْ بَذَلَ لَهُ ..»لأن الإمام يبيّن دليل عداوة معاوية على عثمان.

الوجوه البلاغية في الفقرة الخامسة:

١- الإستفهام التقريري في: « فأينا كان أعدى له..»، يريد أن يقرّرمخاطبه معاوية على خطأه.

٢- المقابلة في«أمن بذل له نصرته .....أمن استنصره فتراخى عنه».

٣-المذهب الكلامي في« فأينا كان أعدي له.....»لأنّ معاوية تراخي عن نصرة عثمان فقصّر في حقّه، وأمّا الإمام (ع) فاستعدّ لنصرته.

٤- الإقتباس: «قد يعلم الله المعوّقين منكم...» و«ما أردت إلّا الإصلاح....».

٥- تضمين المثل في: « فربّ ملوم لاذنب له» و«وقد يستفيد الظنّة المتنصّح».

الفقرة السادسة: ردّ الإمام تهديد معاوية بالحرب والإعلان عن استعداده له

وَ ذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَ لِأَصْحَابِي عِنْدَكَ إِلَّا السَّيْفُ فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ مَتَى أَلْفَيْتَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ الْأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ وَ بِالسُّيُوفِ مُخَوَّفِينَ لَبِّثْ قَلِيلًا يَلْحَقِ الْهَيْجَا حَمَلٌ فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ وَ يَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ وَ أَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ مُتَسَرْبِلِينَ سِرْبَالَ الْمَوْتِ أَحَبُّ اللِّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ قَدْ

Archive of SID
www.SID.ir

صَحبَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ وَ سُيُوفٌ هَاشمِيَّةٌ قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نصَالِهَا فِي أَخِيكَ وَ خَالِكَ وَ جَدِّكَ وَ أَهْلِكَ وَ ما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ.

الوجوه الأخلاقية في الفقرة السادسة:

في هذه الفقرة يردّ الإمام على تهديد معاوية بالحرب ويعلن عن استعداده لردّ أي هجمة عليه بالبسالة والشجاعة البالغتين والحكمة والوعيد والتبليغ:

١-الشجاعة في قوله« متى ألفيت بني عبد المطلب عن الأعداء ناكلين..» حتّى آخر الفقرة.

٢- الحكمة في الإتيان بهذا المثل: «لبّث قليلاً يلحق الهيجاء حمل».

٣-الوعيد في قوله: «سيطلبك من تطلب ويقرب منك ماتستبعد» فيشير الإمام(ع) إلى استعداده (ع)للحرب وانهزام معاوية على الترتيب.

٤-التبليغ في قوله: «أنا مرقلٌ نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار و التابعين لهم ..».

الوجوه البلاغية في الفقرة السادسة:

١-الإستفهام للنفي في« متي ألفيت بني عبد المطلب...» يعني لم تلف.

٢-تضمين المثل في قوله: «لبّث قليلاً يلحق الهيجا حمل».

٣- الخبر للوعيد في «سيطلبك من تطلب ويقرب منك ماتستبعد».

٤- المقابلة في الكلام نفسه.

٥- الكناية (التعريض) في من تطلب وما تستبعد، المقصود (بمن تطلب) الإمام علي(ع) نفسه لأنه يطلبه والإمام يطلب معاوية ليجزيه و(ما تستبعد) كناية عن انهزام معاوية في القتال وكان يستبعد ذلك.

٦- الكناية في «ساطع قتامهم» كناية عن كثرتهم وعدوهم نحو العدوّ.

٧- الإستعارة المكنية في«متسربلين سرابيل الموت».

٨- الإقتباس في « ماهي للظالمين ببعيد».

٩- حسن الإنتهاء في الكلام نفسه: حيث ينهي الإمام كلامه بآية قرآنية كنّي به عن ظلم معاوية كما أنّ معاوية ختم كلامه بآية قرآنية لإثبات بطلان أجر الإمام(ع) في الجهاد!.

١٠- أسلوب الحصر في قوله: «عن الأعداء ناكلين وبالسيف مخوّفين» وهو جواب الحصرفي كتاب معاوية: ليس لك ولأصحابك عندي إلّا السيف.

١١- السجع في «ناكلين، مخوّفين» و«زحامهم، قتامهم» و «اليهم ربّهم»و«بدرية، هاشمية».

١٢- الإبداع في: «سيطلبك من تطلب ويقرب منك ماتستبعد».

نتائج البحث:

تطرقنا في هذا البحث إلى دراسة كتاب معاوية وردّ الإمام على (ع) عليه في الكتاب الثامن والعشرين من نهج البلاغة الذي وصفه الشريف الرضي جامع نهج البلاغة بهذا الوصف: «وهو من محاسن الكتب»، درسناهما من الناحيتين: الأخلاقية والبلاغية، والآن بين أيديكم حصيلة البحث : استحصاء الفنون البلاغية من الكتابين وفق الجدولين التاليين ومقارنتهما:

Archive of SID

www.SID.ir

الفنون البلاغية في كتاب الإمام علي(ع): (من٣٢سطرا)

الرقم	الفن البلاغي	العدد	الرقم	الفن البلاغي	العدد	الرقم	الفن البلاغي	العدد	الرقم	الفن البلاغي	العدد
١	المقابلة	١٢ (مرّة)	٩	الإستشهاد بالقرآن الكريم	٢	١٧	حسن الإنتهاء	١	٢٥	تنكير المسند إليه	١
٢	الاستفهام (الانكاري، التقريري، التوبيخ)	٨ (مرّات)	١٠	التذييل	٣	١٨	أسلوب الحصر	١	٢٦	مراعاة النظير	١
٣	تضمين المثل	٧	١١	الاحتراس	٢	١٩	التكميل	١	٢٧	التبليغ	٢
٤	الكناية	٦	١٢	المبالغة في اللفظ	١	٢٠	الإبداع	٧	٢٨	الإيجاز	١
٥	المذهب الكلامي	٥	١٣	التشبيه	١	٢١	العنوان	١	٢٩	مراعاة مقتضى الحال	في كلّ الفقرات
٦	الإستعارة	٥	١٤	تناسب اللفظ والمعنى	٦وفقا لفقرات الكتاب	٢٢	الجناس		٣٠	السجع	٢٠
٧	الإقتصاص	٤	١٥	الوعيد	١	٢٣	الإبهام				
٨	الإقتباس	٣	١٦	حسن الإبتداء		٢٤	التفنن				

الفنون البلاغية في كتاب معاوية: (من ٢٢,٥ سطرا)

الرقم	الفن البلاغي	العدد	الرقم	الفن البلاغي	العدد	الرقم	الفن البلاغي	العدد
١	تكرار الخطاب	٤٢	٦	المقابلة	١	١١	أسلوب الحصر	١
٢	تكرار الأسلوب	١٤	٧	الإقتباس	٢	١٢	الوعيد	١
٣	التشبيه	٢	٨	الإستشهاد بالقرآن	١	١٣	حسن الإنتهاء	١
٤	الكناية	٢	٩	المذهب الكلامي	١	١٤	السجع	١٠
٥	الطباق	١	١٠	مراعاة النظير	١	١٥	مراعاة مقتضى الحال	١

Archive of SID

www.SID.ir

بعد المقارنة بين هذه الفنون البلاغية استنتجنا الأمور التالية:

١- السمة البلاغية البارزة في كتاب الإمام على (ع) التنوع البلاغي وهو استعمال الفنون البلاغية المتنوعة لإيصال المعنى إلى ذهن المتلقّي أو المخاطب.

٢- من الجماليات البلاغية في كتاب الإمام علي(ع) الّتي لا توجد في كتاب معاوية فن الإبداع وهو اجتماع فنين او أكثر في الجملة وهذا يزيد الكلام جمالاً فنياً وعمقاً.

٣-السمة البلاغية البارزة في كتاب معاوية هو استعمال التكرار(تكرار خطاب الإمام في الفقرة الثانية اثنان واربعون مرّة متتالية) وتكرار بعض الأساليب أربع عشرة مرّةً مجموعاً (في الفقرتين الثانية والثالثة).

٤- تنوع الفنون البلاغية في كتاب الإمام على (ع) ضعف الفنون البلاغية في كتاب معاوية وكتاب الإمام (ع) أكثرمقداراً من كتاب معاوية ولكن ليس بضعف كتاب معاوية.(ر.الجدول) .

٥-انطباق الجوانب البلاغية على المضامين الأخلاقية في الكتابين:

تنطبق السمة البلاغية البارزة في كتاب معاوية وهوالتكرار مع الصراحة في الخطاب على بعض نوايا معاوية بالنسبة إلى الإمام على (ع) وذلك لإثارة الإمام غضباً في الرّد عليه واستغلال ذلك ضدّه(ع) عند أهل الشام والعراق[٧].

٦- مطابقة الفنون البلاغية للمضامين الأخلاقية في كتاب الإمام على (ع): إنّ الإمام(ع) لم يتأثّر تأثراً سلبياً بكتاب معاوية المشتمل على الهجمة الكلامية ضدّه، بل راعى في كتابه جوانب أخلاقية من مثل: الحلم، الحكمة ، الدعوي بالبيّنة، حسن الأدب، تبيين الحقيقة، الشجاعة ويدلّ على ذلك استخدامه فنون البلاغية الأكثر استعمالاً من مثل: الكناية، الإستعارة، المقابلة، المذهب الكلامي، تضمين المثل، الإستفهام الإنكاري والتقريري.

٧- يستنتج من المقارنة بين الوجوه الأخلاقية والبلاغية في الكتابين، امتزاج الأخلاق واللغة، علي سبيل المثال حلم الإمام وحسن أدبه يقتضي الإجابة بالحكمة، البرهان والتمثيل والكنايات المتعددة، وتشويه الحقيقة في نية معاوية يقتضي تكرار الخطاب المتتالي دون الإتيان بالحجّة اوالحكمة والتمثيل. وهذا يدلّنا على أنّ اللغة ظرف المعاني، وتنعكس السمات الأخلاقية على لسان الإنسان.

التعاليم المستفادة من كتاب الإمام علي (ع):

١- كتاب الإمام على (ع) ردٌّ على كتاب معاوية، ولكنه كتب بمنهجٍ يستفيد منها الآخرون وذلك بدليل الإرشادات الحكمية والأخلاقية فيه -التي ذكرناها في الوجوه الأخلاقية والبلاغية- من مثل مجيء الأمثال، التعريض، العنوان، الإستشهاد والإقتباس من القرآن الكريم.

٢- ممانعة الإمام(ع) لاستغلاله من قبل معاوية ضدّه وهذه تدلّ على بصيرته تجاه المسائل الإجتماعية والسياسية آنذاك.

٣-تبيين المسائل التاريخية والإجتماعية والسياسية في عصر صدر الإسلام.

٤- تعلّم رسالة الإمام علي(ع)طريق كتابة الرسائل الجوابية خاصّة تلك التي توجّه الكذب والإفتراء للمخاطب.

الهوامش

١- لإقتصاص: قال ابن أبى الإصبع المصري في تعريفه: هوأن يقتص المتكلّم قصّة بحيث لايغادر منها شيئاً في ألفاظ قليلة موجزة جدّا بحيث لو اقتصّها غيره ممن لم يكن في مثل طبقته من البلاغة أتى بها في أكثر من تلك

Archive of SID
www.SID.ir

الألفاظ.(مطلوب، أحمد.معجم المصطلحات البلاغية وتطورها،نقلاً عن ابن أبى الإصبع، تحرير التحبير، ص٤٥٩).

٢- ذكر البلاغيون أنّ الأديب ينبغي أن يتأنّق في ثلاثة مواضع من كلامه حتّى يكون أعذب لفظاً وأحسن سبكاً وأصحّ معنى. وهذه المواضع هي: الإبتداء والتخلص والإنتهاء. والإبتداء أن يكون مطلع الكلام شعراً أو نثراً،أنيقاً بديعاً لأنّه أوّل مايقرع السامع على الكلام ويعيه، وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه وإن كان في غاية الحسن.(مطلوب، أحمد.م.ن،ص٢١)

٣- عنوان الطلقاء تشير إلى فتح مكّة بيد النبي(ص) والمسلمين في السنة الثامنة من الهجرة وإطلاق الأسرى من مشركي قريش فى الحكم الصادر عن النبي(ص): «اذهبوا أنتم الطلقاء»(يعقوبي،ج٢،ص٦٠).

٤- القدح أحد قداح الميسر وإذا كان أحد القداح من غير جوهرة أخواته ثمّ أجاله المفيض خرج له صوتٌ يخالف أصواتها، يعرف به أنّه ليس من جملة القداح، يضرب للرجل يفتخر بقبيلةٍ ليس منها أو يمدّح بما لا يوجد فيه.(حسن زاده آملي، منهاج البراعة، ج١٩، ص٩٦، نقلاً عن الميداني، مجمع الأمثال).

٥- إنّه مثلٌ وأصله أنّ رجلاً قصد مكاناً وقد عرض عليه أثناء طريقه صيد فجعل يتبعه ليصطاده فشغله عمّا قصد.(نهاية الأرب ، نقلاً عن حسن زاده آملي، ص١١٤و شهيدي جعفر (١٣٧٣هش)، ص ٥١٩وفيض الإسلام (١٣٢٥هش)،ج٢ص٨٨٧).

٦- التبليغ من أنواع المبالغة في الفنون البديعية،وتعريفه هوأن يدّعي المتكلّم وصفاً ممكناً عقلاً وعادةً في الشدة أو الضعف،نحو قوله تعالى: «ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراه» النور/٤٠.(هاشمي، أحمد.(١٤٢١هق)، جواهر البلاغة،ص٣٢٧)

٩- يبدو أنّ معاوية يريد أن يثبت عند أهل الشام أنّ الامام يتبرّأ من أبي بكر وعمر وينسبهما إلى الظلم ومخالفة الرسول (ص) في أمر الخلافة وأنهما غصبا حقبه ولم يكن ذلک مقصّراً على فساد أهل الشام بل وأهل العراق. ومن جملة أعماله القيام بالمكاتبة أو مراسلة الإمام علي(ع)،وتوجيه التهم فيه نحو الإمام بحيث يحرّض الإمام على الإجابه بأمور تجعل ذلك حجّة عليه عند أهل الشام ويضيفه إلى ما قرّره في نفوسهم من ذنوبه. (حسن زاده آملي، منهاج البراعة، ج١٩، ص١٠٥).

المصادر:

[١] ابن أبي الحديد (١٩٦٢م)،شرح نهج البلاغة،قم، نشر اسماعيليان.

[٢] ابن فارس، أحمد (١٤٠٤هق)، معجم مقاييس اللغة، قم، مكتب الإعلام الإسلامي.

[٣] تفتازاني، سعدالدين(د.ت)، شرح المختصر على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، قم، مطبعة علّامة.

[٤] حسن زاده آملي، حسن(١٣٨٩ق)، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، طهران، المكتبة الإسلامية.

[٥] خاقاني،محمد (١٣٧٦ش)،جلوه‌هاي بلاغت در نهج البلاغة، نشر بنياد نهج البلاغة.

[٦] شهيدي، جعفر(١٣٧٣ش)، ترجمة نهج‌البلاغة، ط٦، طهران، نشر علمي وفرهنگي.

[٧] طباطبائي،محمد حسين(١٣٩٤ق)،الميزان في تفسير القرآن، طهران، دار الكتب الإسلامية.

Archive of SID
www.SID.ir

[٨] غالب،حنّا(٢٠٠٣م،١٤٢٢ق)،كتر اللغة العربية، بيروت، مكنبةلبنان، ناشرون.
[٩] الفاخوري، حنّا(١٩٩١م)، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، بيروت، دارالجيل.
[١٠] الفيروزآبادي، مجدالدين (١٤١٥ق)، القاموس المحيط، تحقيق شيخ يوسف محمد البقاعي ،بيروت، دار الفكر
[١١] فيض الإسلام، علي نقي(١٣٢٦ش)،ترجمة وشرح نهج البلاغة، طهران، مطبعة آفتاب
[١٢] القلقشندي، أحمدبن علي (١٩٨٧م)، صبح الأعشي في صناعة الإنشاء، بيروت، دار الفكر
[١٣] مصري، ابن أبي الإصبع (١٣٦٨ش)، بديع القرآن، ترجمة سيدعلي ميرلوحي، مشهد، المؤسسة الرضوية.
[١٤] مطلوب، أحمد(١٩٩٦م)، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها،ط٢، بيروت، مكتبة لبنان
[١٥] معروف،نايف (١٤١٠ق)، الأدب الإسلامي، بيروت، دار النفائس
[١٦] الهاشمي،أحمد (١٤٢١ق)، جواهر البلاغة، أشراف صدقي محمد جميل، دار الفقه للطباعة والنشر
[١٧] اليعقوبي(د.ت)،تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر

Archive of SID

www.SID.ir

ادبیات نامه‌نگاری درپاسخ امام علی(ع) به نامه معاویه

محمد خاقانی[1]، سیده ریحانه میرلوحی[2]

تاریخ دریافت: ۱۳۸۸/٤/۱٤ تاریخ پذیرش: ۱۳۸۸/٦/۲٤

نامه ۲۸نهج البلاغه، مشتمل بر نکات بلاغی مهمی است که دراین مقاله به آن پرداخته شده وبه منظورتبیین بلاغت نامه امام علی(ع) مقایسه‌ای ازجهت اخلاقی وبلاغی با نامه معاویه گردیده است دراین راستا از نامه امام علیه السلام می‌توان به‌عنوان الگویی در نامه‌نگاری به خصوص نامه‌های جوابیه بهره برد، از طرف دیگر این تحقیق همخوانی بلاغت دو کاتب با اهداف اخلاقی، سیاسی آنان را بیان می‌دارد وبر این اساس مشخص می‌گردد: اخلاق به‌عنوان امری معنوی عهده‌دار زیبایی‌های روحی وشخصیتی انسان است ، وبلاغت به عنوان یک پدیده زبانی متولّی زیبایی‌های زبان می‌باشد و بین آن دو ارتباطی پایدار برقرار است.

واژگان کلیدی: ادبیات نامه‌نگاری، بلاغت عربی، زیبایی هنری، اخلاق

۱. دانشیارگروه زبان وادبیات عربی، دانشگاه اصفهان

۲. دانشجوی دکتری زبان وادبیات عربی، دانشگاه اصفهان

Archive of SID

www.SID.ir